

مناهج الإستدلال في القرآن

الأستاذ المشرف: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الهادي البغدادي

الطالب: لؤي عباس حسن الخزاعي

ملخص المقال

ليس من شيء على وجه الدنيا أثر فيها وفي حركة البشر عليها أكثر من الوحي الذي نزل على المصطفى صلى الله عليه وآله ، لكن أعداء البشرية حاولوا وبشكل مستميت أن يبعدوا القرآن عن النفع العملي للبشرية، الى كونه كتاب ترف أدبي مختص بالكمال الذاتي والروحي.

لذلك عندما نبحث عن مناهج الإستدلال في القرآن فإننا ندرس الآلية التوجيهية والعملية في القرآن، فكتاب الهداية والتكامل هذا لا يهدي الإنسان عن طريق تحريك مشاعره وإلهاب عواطفه لتكامله الذاتي وأخلاقه فقط ، بل هو يحتوي على أرقى المناهج الإستدلالية العلمية التي تؤهله بكل جدارة أن يقود حياة المجتمع في الدين والعلم بأنواعه ، وفي القضاء والحكم والتشريع والاعلام وغيره.

نبدأ بالمنهج البرهاني الذي يشمل القياس والإستقراء والتمثيل، والقياس هو المنهج الرئيسي الذي ترجع اليه مناهج الإستقراء والتمثيل في قوة دلالتها.

بعد المنهج البرهاني ندرس شيئاً عن المنهج الخطابي ، وهذا المنهج في القرآن بحر عميق ، نبحث فيه بقدرنا.

ثم ندرس شيئاً عن المنهج الجدلي، وهو منهج له خصوصياته في القرآن الكريم، قال تعالى: {...وجادلهم بالتى هي احسن...} النحل ١٢٥.

ولابد لنا من استعراض الاستنتاج والخاتمة والتوصيات في الختام.
من الكلمات الدلالية: القرآن، المنهج، مناهج الاستدلال، القياس، التمثيل، الاستقراء، الخطاب، الجدل.

المقدمة

عندما يقال إن منهج الفلسفة هو منهج عقلي، فإنه يراد أنها تستفيد من المنهج العقلي. وكذلك يكون المراد عندما يقال إن العلوم التجريبية كالفيزياء والكيمياء تعتمد على المنهج التجريبي. فالمنهج أو المنهجية هو الطريق المتخذ في علم محدد للوصول إلى معارف ذلك العلم^(١).

وقد تطرق البحث لذلك بشكل أدق وتفصيل أكبر ضمن عناوين (الفرق بين المنهج والمصدر) و (الفرق بين الأسلوب والمنهج) و (الفرق بين الإتجاه والمنهج).

وبشأن قضية اتباع القرآن لمنهج معين لابد من وقفة تأمل، لأن من أهم مميزات القرآن انه - كما شهد بذلك العلماء - فوق عقول البشر، و هو جديد في كل زمان ومكان ولا يبلى أبداً، ولو كان يتبع منهجاً يمكن للإنسان تشخيصه وتحديده لما كان القرآن بهذه الكيفية وهذه الدرجة من كونه لا تحيط به العقول، كما شهد بذلك كل عالم منصف.

(١) رضا برنجكار، علم الكلام الإسلامى دراسة في القواعد المنهجية، ص ٣٨.

أما قصدنا من موضوع (مناهج الاستدلال في القرآن الكريم)، فهنا نحن حددنا نوع معين من المناهج، وهي مناهج الاستدلال، نتقصى وجودها في القرآن ونبحث في كيفية استخدامها من قبل القرآن الكريم.

و مناهج الاستدلال هي مناهج معروفة للإستدلال العلمي ، مبحوثة في علم المنطق والعلوم العقلية ، والقرآن كتاب يحترم العقل والتفكير العقلي ويعلي من شأنه "القرآن الكريم يهدي العقول إلى استعمال ما فطروا على استعماله بحسب طبعهم وهو ترتيب المعلومات لاستنتاج المجهولات والذي فطرت عليه العقول هو ترتيب مقدمات حقيقية يقينية لاستنتاج المعلومات التصديقية الواقعية ، وهو البرهان أو استعمال المقدمات المشهورة أو المسلمة وهو الجدل ، أو استعمال مقدمات ظنية لغاية الارشاد والهداية إلى خير مظنون وشر مثله وهو العظة ، قال تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } النحل ١٢٥

والظاهر أن المراد بالحكمة هو البرهان كما ترشد إلى ذلك مقابلته بالعظة والجدل.^(١)

إذن ما ورد في الآية - حسب التفسير المذكور - هي مناهج للإستدلال مشابهة لمناهج الإستدلال التي درسها البحث ولا تنفيها.

مناهج الإستدلال:

"ولما كان الانسان من ذلك يقع في كثير من الخطأ في أحكامه او يتعذر عليه تحصيل مطلوبه لم يستغن عن دراسة الطرق العلمية للتفكير الصحيح والاستدلال المنتج. والطرق العلمية للاستدلال عدا طريق الاستدلال المباشر ... هي ثلاثة أنواع رئيسة:

(١) جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن ، الجزء ٦ : صفحة : ٢٨.

١ - (القياس) وهو أن يستخدم الذهن القواعد العامة المسلم بصحتها في الانتقال الى مطلوبه. وهو العمدة في الطرق.

٢ - (التمثيل) وهو أن ينتقل الذهن من حكم أحد الشئيين الى الحكم على الآخر لجهة مشتركة بينهما.

٣ - (الاستقراء) وهو ان يدرس الذهن عدة جزئيات قيستنبط منها حكما عاما.^(١)
" وبحسب اختلاف المقدمات وبحسب ما تؤدي اليه من نتائج وبحسب اغراض تأليفها ينقسم القياس الى البرهان والجدل والخطابة والشعر والمغالطة.^(٢)

ونحن في البحث درسنا ما ذكر أعلاه من استدلال علمي في القرآن الكريم ، بإستثناء الشعر والمغالطة ، فالقرآن المجيد منزّه عن الشعر المتعارف والمغالطة المتعارفة ، بل حتى في الجدل والخطابة في القرآن ، دائماً تكون الأهداف الرئيسية والفرعية أهداف حقة و يقينية ، والوسيلة أيضاً (أي الجدل والخطابة) استخدمها القرآن بالتي هي أحسن وبالحق والصدق.

مشكلة البحث:

في الزمن المعاصر ظهر جماعة يريدون أن يبعدوا القرآن عن مكانه الطبيعي في قلب المسيرة العلمية ، بل ارادوا أن يقصوه من الحياة الاجتماعية ، زاعمين انه كتاب خيال وأدب لايعطي أي علم تطبيقي، وحاولوا ان يؤكدوا بذلك بعض النقاط الأساسية في

(١) محمد رضا المظفر، المنطق - ط دارالتعارف ، صفحة ١٩٩

(٢) محمد رضا المظفر، المنطق - ط دار التعارف، صفحة ٢٧٦.

الفکر العلمانی مثل ، فصل الدین عن السیاسة (لیعتمدوا الیدمقراطیة الغربیة مثلاً) ، وفصل الدین عن الحیاة الإقتصادیة (لیعتمدوا الإقتصاد الربوی مثلاً) ، وفصل الدین عن الحیاة الإجتماعیة (لینشروا الإنحلال الخلقی مثلاً) ، وإقصاء الدین عن دوره الریادی فی حوار - أو صراع - الحضارات (لکی یهزموا المسلمین من الداخل ویکسبوا الحرب الناعمة) ، الی آخره.

مناهج الإستدلال فی القرآن لها أهمیة کبری فی کشف الحقائق التی تؤكد دور القرآن الریادی و بالتالی دور الدین الإسلامی الریادی.

فهل هناك مناهج علمیة استدلالیة فی القرآن؟

ما هی مناهج الإستدلال فی القرآن؟ وماهی ممیزاتها؟

الأسئلة الفرعیة

السؤال الفرعی الاول: ماهو المنهج البرهانی للإستدلال فی القرآن؟ ماهی تطبیقاته؟

وقد أجب البحت عن هذا السؤال کالتالی:

ان المنهج البرهانی یشمل ثلاثة أنواع رئیسیة هی المنهج القیاسی والمنهج التمثیلی والمنهج الإستقرائی.

المنهج القیاسی

أنواع القیاس فی القرآن

"وَالْأَفْسَسَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي الْإِسْتِدْلَالِ ثَلَاثَةٌ: قِيَاسُ عِلَّةٍ، وَقِيَاسُ دَلَالَةٍ، وَقِيَاسُ شَبْهِهِ، وَقَدْ وَرَدَتْ كُلُّهَا فِي الْقُرْآنِ"^(١)

١- قياس علة :

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} آل عمران ٥٩

٢- قياس الدلالة :

هُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ، بِدَلِيلِ الْعِلَّةِ وَمَلْزُومِهَا. وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فصلت ٣٩

٣- قياس الشبه:

وَأَمَّا قِيَاسُ الشَّبْهِ فَلَمْ يَحْكِهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَّا عَنِ الْمُبْطِلِينَ
فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَمَّا وَجَدُوا الصُّوَاعَ فِي رَحْلِ أَخِيهِمْ:
{إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ} يوسف ٧٧، فَلَمْ يَجْمَعُوا بَيْنَ الْفَرْعِ وَالْأَصْلِ بِعِلَّةٍ وَلَا دَلِيلِهَا، وَإِنَّمَا أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ جَامِعٍ سِوَى مُجَرَّدِ الشَّبْهِ الْجَامِعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يُوسُفَ.

(١) محمد الأمين الشنقيطي، اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، ج ٤ ص ١٨٥.

وقد حاولت الدراسة مناقشة القياس ، من جهة محاولات إستكشاف مصطلح قرآني للقياس ومن جهة مقارنة استخدامه القرآني مع استخدام القرآن لمناهج الإستدلال الأخرى.

المنهج الإستقرائي في القرآن

نماذج الإستقراء في القرآن:

أولاً: نماذج آيات فيها استقراء:

من قبيل { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ } الحج

٧-٥

ثانياً: آيات تدعو الى استخدام الإستقراء منهجاً للإستدلال:

من قبيل { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ } الأنعام ١١

ثالثاً: قضايا قرآنية تستدعي الإستقراء:

هذا النوع من الإستقراء قد يشمل طريقة التفسير الموضوعي ان لم يكن هو التفسير الموضوعي نفسه، و يسميه السيد محمد باقر الصدر (قدس الله نفسه) الإتجاه التوحيدي في قبال الإتجاه التجزيئي.

"و يستهدف التفسير التوحيدي الموضوعى من القيام بهذه الدراسات تحديد موقف نظرى للقرآن الكريم و بالتالى للرسالة الاسلامية من ذلك الموضوع من موضوعات الحياة او الكون."^(١)

رابعاً: آيات قرآنية تحوي قضايا علمية تتطلب استقراء:

وهنا استعرضت الإطروحة عدد من الآيات القرآنية التي تحمل نقاط علمية وتنبه الى ظواهر علمية مثل:

{الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَآ بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ}النور ٤٣.

وآيات أخرى ، وتم ذكر تفسير متعارف لكل آية مع نقاش علمي حديث يوجه الى بحوث استقرائية في هذا المجال.

ثم ذكرت الدراسة ثلاثة مواضيع ربما لها علاقة وثيقة بالإستقراء ، وهي الحروف المقطعة، والأقسام في القرآن، وسياق السورة كوحدة متكاملة.

(١) محمد باقر الصدر، التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي في القرآن الكريم، ص ١٤.

المنهج التمثيلي في القرآن الكريم

الماهية الإستدلالية للمثل القرآني:

تعريفه: "ان المثل يعني تشبيه الحقائق العقلية بالامور الحسية الملموسة. فمن جانب هناك أمور عقلية كثيرة لا يفهمها اكثر الناس. ومن جانب آخر، فإن الناس اعتادوا على المحسوسات والعينات الملموسة، ولهذا كان المثل (عقول الناس في عيونهم) وهو يعني ان ادراك الناس للامور الملموسة والمرئية اسهل لهم. ومن هنا طرح القرآن بعض المفاهيم العقلية الرفيعة في قالب الامثال ليسهل على الناس ادراكها".^(١)

مراحل تأثير المثل القرآني:

يمكننا استنتاج ثلاث مراحل لتأثير الأمثال على النفوس^(٢)، هي كالتالي:

المرحلة الاولى: مرحلة التذكر وهي مرحلة مرور حقيقة الخطاب الالهي في الذهن.

المرحلة الثانية: مرحلة التفكير، وهي مرحلة التفكير في موضوع المثل وحكمته.

المرحلة الثالثة: مرحلة التعقل وهي مرحلة ادراك وهضم الحقائق.

وقد عرضت الدراسة خمسة نماذج من أمثلة القرآن من قبيل:

قوله تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً } {الجمعة ٥}.

و الدراسة شرحت هذه النماذج بشيء من التفصيل مع التأمل في كيفية استخدام القرآن للتمثيل والتدبر في مميزاته.

السؤال الفرعي الثاني: ماهو المنهج الخطابي للإستدلال في القرآن؟ ماهي تطبيقاته؟

(١) ناصر مكارم الشيرازي، أمثال القرآن، ص ١٣.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي، أمثال القرآن، ص ١٦.

استعرضت الدراسة معنى الخطابة في اللغة ومعناها في القرآن لكن ما يهمنا أكثر هو معناه في الإصطلاح الاستدلالي المنطقي لأننا ندرسه على أساس كونه منهج إستدلالي.

الخطاب في الإصطلاح الاستدلالي المنطقي:

"هو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"^(١)، من هذا التعريف يتبين ان الخطاب لابد فيه من طرفين : الطرف الذي يلقي الخطاب، والطرف الذي يتلقي الخطاب، والمتعارف في هذا الشأن عن الغزالي قوله : " ما لا يفهمه المخاطب لا يكون خطاباً معه." ^(٢)

"وفي كل الأحوال ، فإن الخطاب هو طريقة يختارها المُخَاطَبُ للخطاب بهدف إرسال رسالته إلى المخاطَب (المتلقى)، مما يستدعي من المتلقي اختيار طريقة تناسب الخطاب بهدف تلقيه. وفي الحقيقة المنهج هو تدبير المُخَاطَب لفهم الخطاب، كما كان الخطاب تدبيراً من المخاطَب لإفهام المخاطَب بفحوى الخطاب." ^(٣)

المفكر الأستاذ محمد مصطفى قالها بشكل واضح "(المنهج هو تدبير المُخَاطَب لفهم الخطاب، كما كان الخطاب تدبيراً من المخاطَب لإفهام المخاطَب بفحوى الخطاب)" ^(٤)

(١) علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ٨٥.

(٢) أبو حامد الغزالي، المستصفى في أصول الفقه، ج ١، ص ٥٦.

(٣) محمد مصطفى، أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، ص ٢٥٧.

(٤) محمد مصطفى، نفس المصدر.

و من منطلق وجهة النظر هذه ، ومن باب التوجه العام في الرسالة للتأكيد على الأهمية التطبيقية في الحياة للقرآن الكريم فقد تم اختيار آية "والعمل الصالح يرفعه" لمعرفة منهجها الخطابي.

قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرُؤٌ لَكِ هُوَ يَبُورُ} فاطر ١٠ وتم استعراض ثلاث تفاسير للآية على أساس انها مناهج خطابية مختلفة وان كانت كلها في مجال التفسير التجزيئي، وتم استعراض موضوع "الإستقامة طريق العمل" وهو منهج خطابي مختلف على شكل تفسير موضوعي.

ثم استعرضت الدراسة نماذج فهم الخطاب القرآني في أبعاد ثلاثة، وهي بذاتها نماذج من المنهج الخطابي القرآني.

بدأ بالعمل الاجتماعي او "اسلوب الدعوة" والعمل الفردي أو "التنمية الذاتية"، ومن ثم من منطلق فهم التداخل والتكامل للبعدين الفردي والاجتماعي وربطهما بالبعد الإلهي ، نستعرض بحث الشهيد الصدر (المثل الأعلى).

السؤال الفرعي الثالث: ماهو المنهج الجدلي للإستدلال في القرآن؟ ماهي تطبيقاته؟

الدراسة بدأت ببحث الجدل في اللغة والجدل في الإصطلاح.

ثم بحث ان كان الجدل في القرآن يحمل نفس المواصفات مع الإصطلاح؟

ينبغي الإشارة الى ان القرآن لايعترف أبداً بمقولة أو استراتيجية (الغاية تبرر الوسيلة)، بل يحارب من يتخذها خطة عمل، وذلك ينسحب على كل سور وآيات وكلمات القرآن، لذلك فإن مسلمات الجدل التي يستخدمها لابد اما ان تكون من الحق او ان القرآن

يوضح للقارئ انه انما يستخدمها من باب الزام الخصم ويوضح له ما اذا كانت ليست من صريح الحق.

القرآن له مدرسته الفريدة والمتعالية في الجدل، قال تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } النحل ١٢٥.

واستعرضت الدراسة نماذج من الجدل السلبي والجدل الإيجابي في القرآن الكريم. ثم استخلصت أركان الجدل الإيجابي المؤثر من القرآن:

• قال تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ } الحج ٨

"وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ قال الماديون: لا طريق إلى العلم والمعرفة إلا الحس والتجربة، وقال المثاليون: الطريق إلى المعرفة هو العقل وكفى، أما القرآن فقد قرر بوضوح أن مصادر المعرفة ثلاثة: (١) التجربة (٢) العقل، لأن الإنسان عينا ترى وعقلا يدرك (٣) الوحي، لأن الله بكل شيء عليم، وهذه الآية جمعت المصادر الثلاثة، فالعلم إشارة إلى التجربة، والهدى إلى العقل، والكتاب المنير هو الوحي" (١)

ثم استعرضت الدراسة أغلب أنواع الجدل مع بعض أمثله في القرآن المجيد.

(السبر والتقسيم-القول بالموجب - التسليم -الإسجال-الإنتقال-المناقضة-الإستدراج
- الإسلوب الحكيم)

ثم استعرضت الدراسة بعض "مشهورات الجدل في القرآن":

١- سورة الكافرون (الجدل التفاوضي الذي توج بالمفاصلة)

٢- جدل سورة يس (نموذج الجدل بين الدعاة والعصاة).

٣- آية المباهلة (الجدل الذي توج بطلب المباهلة).

الأهداف

هذا البحث لديه جملة من الأهداف يرنو الى تحقيقها ، أهمها:

١. بيان ان القرآن ، الى جانب كونه كتاب هداية استخدم الأسلوب الخطابي الغني
بالبلاغة والفصاحة الأدبية ، إلا انه كذلك كتاب ذو مناهج علمية متقنة.

٢. التعرف على المنهج القرآني في الإستدلال.

٣. الكشف عن المنهج البرهاني للإستدلال في القرآن وتطبيقاته.

٤. الكشف عن المنهج الخطابي في القرآن وتطبيقاته.

٥. الكشف عن المنهج الجدلي في القرآن وتطبيقاته.

٦. النتيجة والتجربة التي نخرج بها .

نتائج البحث

العمل الذي تم في هذه الأوراق إن هو إلا بداية بسيطة لعمل ضخم، يتطلب مجلدات عديدة لكي يستوفي شيء بسيط مما يستحقه هذا العنوان الكبير (مناهج الاستدلال في القرآن)، عمل اكبر من كاتب هذه الأسطر وان كان يطمح ان ينجزه في قادم الأيام.

كل مبحث في كل فصل عبارة عن نافذة صغيرة يطل بها الإنسان الى فضاء القرآن ليجد نفسه في بحر متلاطم لاحدود له، على سبيل المثال ، لو أتينا الى مبحث التمثيل في القرآن ، تأتي الى القرآن و في رأسك مفهوم لـ(المثل) ويستقبلك القرآن بما جئت تبحث فيه ويعطيك منيتك ، ثم لاتلبث ان تجد القرآن يقول لك ان المثل القرآني أبعد وأعمق من ما تصورت! وتطالع الكتب المتعلقة فتجد من المفكرين من يقول ان القرآن كله أمثال، ثم تتأكد ان الأمثال القياسية ماهي الا نقطة في بحر القرآن البياني التمثيلي، فتدرك انه لا بد لك من بحث الأمثال القرآنية بشكل عام. ثم تحمد الله انك استطعت ان تحدد عملك في هذه الأوراق وتلملمه نوع ما وترجمه في المبحث قدر الإمكان.

كذلك بالنسبة للقياس، تأتي الى القرآن وقد حملت أدواتك من القياس المنطقي فيستقبلك القرآن بما أردت البحث عنه، ثم لاتلبث ان تجد القرآن يقول لك ان القياس او (الميزان) القرآني أبعد وأعمق مما تتصور، ثم يخبرك ان القرآن مليء بالموازين او الأقيسة ولكن يتطلب الأمر منك ان تحد البصر، لأن البيان والبلاغة القرآنية تدخل مختلف التعبيرات البلاغية في الاستدلال القياسي. حتى قال المفكر الإسلامي الكبير الشيخ محمد هادي معرفة : "مزيج إسلويين: الخطابة والبرهان وإمتاع العقل والنفس معاً:

إمتاز القرآن في استدلالاته بالجمع بين اسلوبين متنافيين في شرائطهما، هما: أسلوب الخطابة واسلوب البرهان. ذاك إقناع للعامة بما يتسالمون به من مقبولات مظنونات وهذا إفهام للخاصة بما يتصادقون عليه من أوليات يقينيات.

ومن الممتع عادةً أن يقوم المتكلم بإجابة ملتمس كلا الفريقين، ليجمع بين الظن واليقين في خطاب واحد.. الأمر الذي حققه القرآن فعلاً بعجيب بيانه وغريب اسلوبه.^(١)

كذلك بالنسبة للإستقراء ، فالإستقراء في القرآن رغم انه لم يورد اسم المصطلح في القرآن إلا ان مفهوم الإستقراء وأدواته حاضر وبقوة في القرآن الكريم، بل ان القرآن يعطيك مفهوم استقراء مختلف، مفهوم يوصلك لنتائج يقينية كما القياس أو البرهان، وليس مستغرب ان يؤسس السيد محمد باقر الصدر من هذا المنطلق رؤيته الفلسفية المتكاملة في كتابه (الأسس المنطقية للإستقراء) ، فما الذي يميز الإستقراء القرآني؟ قد تكون الموارد التي دخل فيها القرآن من مثل تجارب الأمم السالفة وخبراتها، والتجارب والخبرات الكونية ، وتجارب انسانية أخرى، والنتائج التي يثبتها مثل ، المعاد، و التوحيد، وأهمية الأخلاق لبقاء الأمم ، والدعوة الدائمة الى التدبر والتفكر كوسيلة مهمة وضرورية للإنسان بشكل عام.

وبالإستدلال أوضح القرآن، من ضمن ما أوضح، أسس السنن الفردية و الإجتماعية والكونية واسس التفاعل فيما بينها ، واسس علاقة الفرد والمجتمع والبيئة بالله سبحانه وتعالى.

(١) محمد هادي المعرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج ٥ ص ٥٠٠.

و في فصل منهج الخطاب القرآني لم نبتعد عن مناهج الاستدلال لأهميتها في منهجة الخطاب القرآني، وفي تنويع مكانة القرآن في المسيرة الإنسانية.

كذلك المنهج الجدلي وهو يأتي بعد القياس البرهاني في الناحية البرهانية حسب المنطق، المنهج الجدلي في القرآن كباقي المناهج ، القرآن يعطيه مفهوم آخر خاص بالقرآن، قد يعم الحياة ، النقطة الجديرة بالانتباه هنا هي ان القرآن عرّف الجدل وأعطاه عدة معاني وذمه في مواضع عديدة ومدحه في مواضع قليلة، وكانت آية :

{ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا }

الكهف ٥٤ ، مثيرة للجدل لأن هناك من المفسرين من يعتبرها مع آيات الدم ، وآخرون لا يعتبرون انها ليست ذم وحسب بل انهم يعتبرونها في مقام المدح.

و للمنهج الجدلي القرآني اساليب متنوعة تتمثل في أنواع من الجدل القرآني تم ذكرها في هذه الأوراق ، لكنها طبعاً ليست كل الجدل القرآني و لا كل أنواعه.

أما المنهج الخطابي، فقد رأيت ان هذا الفصل هو أصعب الفصول لأن مجال الكتابة فيه متسع جداً ، و التقليديون من المفكرين يرون ان المنهج الخطابي يتعلق بما قاله المتكلم وهو الله سبحانه ، أي ان المنهج الخطابي هو منهج المتكلم في كلامه ، وتلك نظرة غير صحيحة لأن الخطاب هو بنفسه منهج المتكلم.

المفكر مصطفى - حسب مطالعاتي - يؤكد ان المنهج يتعلق بكيفية التلقي. و هذه كلماته : "وفي كل الأحوال ، فإن الخطاب هو طريقة يختارها الْمُخَاطَبُ للخطاب بهدف إرسال رسالته إلى المخاطب(المتلقي)، مما يستدعي من المتلقي اختيار طريقة تناسب

الخطاب بهدف تلقيه. وفي الحقيقة المنهج هو تدبير المُخاطب لفهم الخطاب، كما كان الخطاب تدبيراً من المخاطب لإفهام المخاطب بفحوى الخطاب.^(١)

فتبيننا وجهة نظر هذا المفكر الإسلامى وان لم نترك النظرة التي حملها التقليديون، من أمثال ابوزهرة و العلامة الطباطبائي، لأن الزوايا تختلف لكن التناقض لم يحدث.

و في فصل المنهج الخطابي قد يختلط منهج الخطاب مع الخطاب نفسه ، لذلك اذا كان ولا بد من التعرض لمعالم مكونات الخطاب أولاً للإقتراب من وضع اسس المنهج ، وكذلك لابد من ربط القرآن بمن أمرنا ربنا باتباعهم واتباع سنتهم حتى لا يشط كل انسان بمنهجه الخاص الذي قد يضل ولا يهدي.

واعتقد ان مسألة فهم القرآن هو امتداد للمنهج الخطابي ، لذلك لجأنا في آخر الفصل الى استعراض بعض نماذج فهم وتطبيق القرآن.

و لقد حاولت ان انتهج الإتجاه الساعي لإظهار الوجه العملي للقرآن ، فكلما سنحت لي الفرصة اتوجه الى كشف تأكيد القرآن على العمل وأهمية العمل ومركزية العمل ، وذلك كردة فعل متأنية ومتوازنة و محايدة على أولئك الذين يريدون ان يقصوا القرآن عن الناحية العملية التطبيقية.

ويمكنني ان أقول وعن تجربة متواضعة ، انك لاتستطيع ان تأتي الى بعض آي القرآن ذات الوجهة المعينة وتلبسها منهج معين ، بلي انك قد تجد القرآن يتماشى مع بعض المناهج الإصطلاحية لكنه يمتاز عنها بما هو أعمق و أشمل، لذا يمكن ان نقول بأن

(١) محمد مصطفوي، أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، ص ٢٥٧.

القرآن لديه مناهجه الخاصة التي تفوق قدرات الإنسان على الإحاطة الكاملة بها فضلاً عن الإتيان بمثلها، وهذا جانب من جوانب تجليات الإعجاز القرآني. أخيراً، أوصي أي شخص يرغب بدراسة مناهج الاستدلال في القرآن، أن يبدأ بدراسة منهج استدلال واحد يتناسب مع توجهاته ، وبشكل كامل والنظر في مقاربات القرآن مع هذا المنهج، وعدم الخلط - في توجهه - مع المناهج الأخرى، وإن كان ولا بد سيجد مشتركات، وبعد اشباع الدراسة (بالتأكيد لا يمكن انتهاء الدراسة)، يمكنه ان يقارن مع دراسة آخرين لمنهج آخر ، كل منهج على حدة كي يخرجوا بنتائج أقوى وأهم، ولكن على الأغلب، الدراسة عندئذ ستكون بمستوى الدكتوراه لأنها دراسة متخصصة ومتعمقة. والحمد لله رب العالمين

الشكر والتقدير

أشكر كل العاملين بجامعتي العزيزة وأسأل الله ان يديمها ويرفع من شأنها ، لذا لا بد قبل ذلك أن أشكر سماحة الولي الفقيه الذي دعا الى دعم هذه الجامعة وحفظها وشجع العاملين فيها والمنتسبين اليها.

وأشكر استاذي المرشد سماحة الشيخ الدكتور عبدالهادي البغدادي، مقدراً له صبره على جهلي وتوجيهاته السديدة وتعليمه النافع لي ، وأسأل الله له دوام التوفيق.

المصادر

- ١- رضا برنجكار، (٢٠١٦م)، علم الكلام الإسلامي دراسة في القواعد المنهجية.

- ٢- جعفر السبحاني، (١٤٢٨هـ ق)، مفاهيم القرآن، الجزء ٦، ١٠ أجزاء.
- ٣- محمد رضا المظفر، (١٤١٤هـ / ١٩٩٥م)، المنطق - ط دارالتعارف.
- ٤- محمد الأمين الشنقيطي، (١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م)، اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، ج ٤.
- ٥- محمد باقر الصدر، التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي في القرآن الكريم، المدرسة القرآنية.
- ٦- ناصر مكارم الشيرازي، (١٤٢٦هـ ق)، أمثال القرآن.
- ٧- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج ١.
- ٨- أبو حامد الغزالي، (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، المستصفى في أصول الفقه، ج ١.
- ٩- محمد مصطفوي، (٢٠٠٩م)، أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره.
- ١٠- محمد جواد مغنية، (١٩٨٣م)، التفسير المبين.
- ١١- محمد هادي المعرفت، (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) التمهيد في علوم القرآن، ج ٥، ١٠ أجزاء.